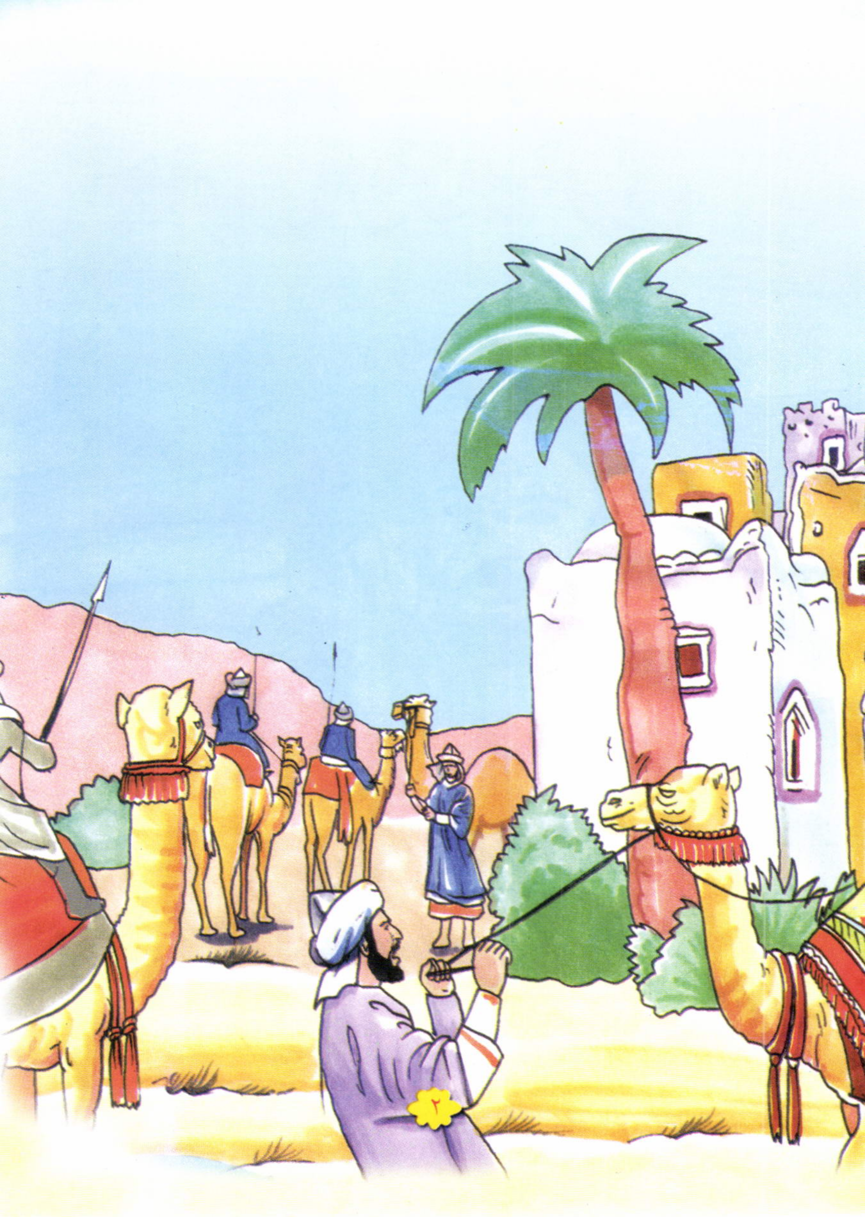
سلسلة الصحابة الأخيار

جابر الأنصاري



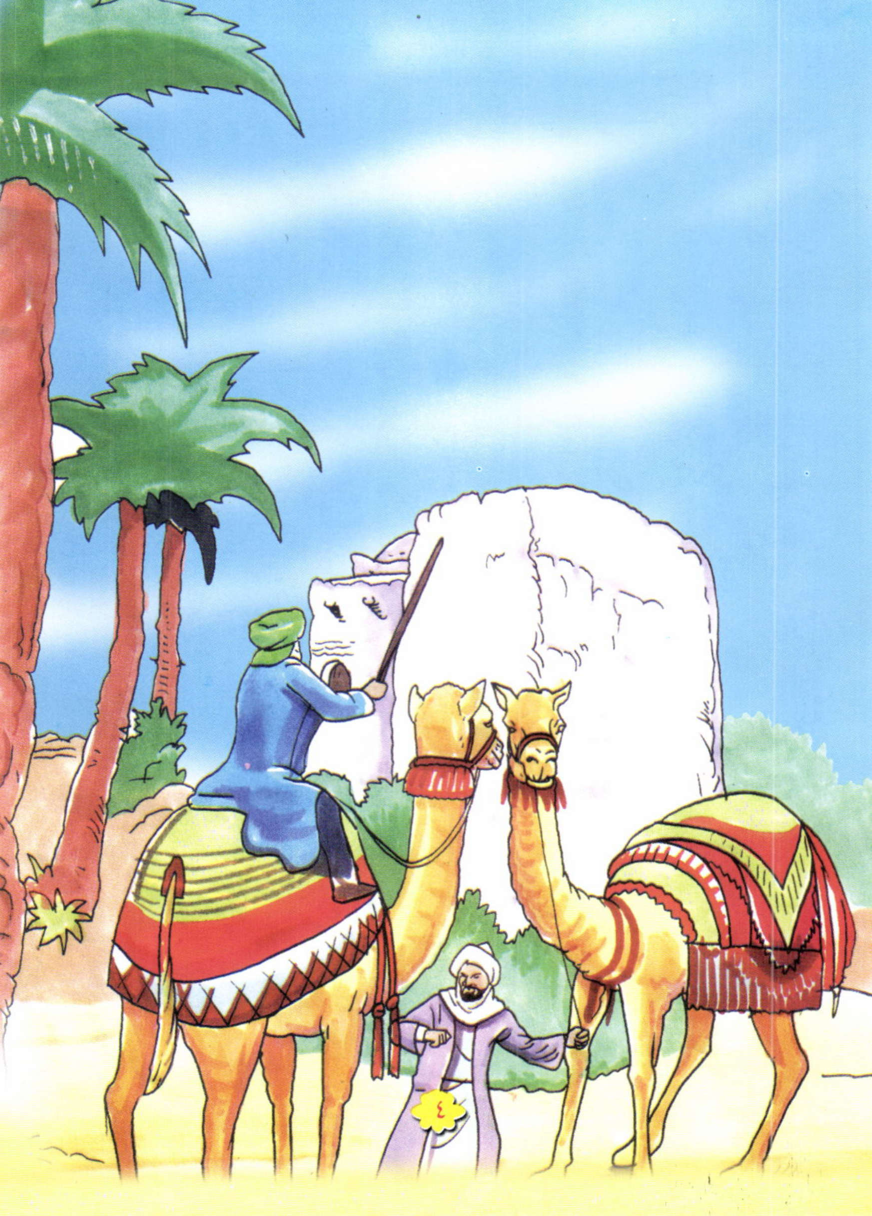


علا الغُبارُ، مَعَ وقْعِ حَوافِرِ الخَيلِ، فَغطّى فُرسانُ المُسلِمينَ أنوفَهُم ووُجوهَهُم من لَسعِ ذرّاتِهِ المُطايِرَةِ.

إنّهُم عائِدونَ من غَزوَةٍ مُظَفَّرَةٍ، هيَ غَزوَةُ تَبوكُ. البَشائِرُ تعلو الوُجوهُ، والغَنائِمُ وراءَهُم تُضيفُ إلى عِزَّةِ الإسلامِ عِزّاً جديداً.

بينَ الخُيولِ والجِمالِ الواثِبَةِ نحوَ المدينَةِ المُكَرَّمَةِ كانَ النَّبيُّ ﷺ قائِدُ المعرَكَةِ العَظيمُ، يطوفُ بِناقَتِهِ على جُنودِهِ مُتَفَقِّداً أحوالَهُم، مُستَطلِعاً أُمورَهُمُ الّتي عادوا بِها منَ الحَربِ، فَجأةً لَمَحَتْ عينا مُحَمَّدٍ ﷺ جمَلاً واهِناً يمضي بِأَحَدِ الرّجالِ متثاقِلاً، وكأَنَّهُ يحملُ على ظَهرِهِ أطناناً منَ الأوزانِ.

كانَ صاحِبُ الجَمَلِ يُحاولُ أن يَحثَّهُ على اللّحاقِ ببقِيَّةِالفُرسانِ بِعصاهُ، دونَ جدوى. لقد سَبقوهُ جميعاً، ولم يلتَفِتْ إليهِ سوى النَّبيُّ القائِدُ ﷺ، الّذي تَقدَّمَ منَ الرَّجُلِ يسأَلُهُ عن سَبَبِ إبطائِهِ. إنفرَجَتْ أساريرُ الرَّجُلِ، وشَعَرَ بِسعادَةٍ تَغمُرُ قَلبَهُ وتنزَعُ منهُ الحيرَةَ والارتِباكِ. إنَّهُ النَّبيُّ بِنَفسِهِ، يتقدَّمُ منهُ ليسأَلَ عن حالِهِ! من مِثلُهُ بينَ الجُنودِ؟



إِضْطَرَبَ فُؤادُ الرَّجُلِ من شِدَّةِ الفَـرَحِ، وقـالَ للنَّبيِّ ﷺ:" يا رسولَ اللّهِ! أبطأَ بي جَمَلي هذا.".

قالَ النَّبيُّ ﷺ للرَّجُلِ:" أَنِخْهُ". (أجلِسهُ). فَأناخَ الرَّجُلُ جَمَلَهُ، وكذلكَ فَعَلَ النَّبيُّ ﷺ، إذ أناخَ ناقَتَهُ أيضاً، ثُمَّ تَقَدَّمَ من الرَّجُلِ قائلاً: " أعطِني هذِهِ العصا من يَدِكَ.". فقدَّمَها الرَّجُلُ إلى النَّبيِّ ﷺ، فَحَمَلَهـا بِيَدِهِ الشَّريفَةِ ثُمَّ نَخَسَ الجَمَلَ بِها نَخساتٍ بَسيطَةً، وقالَ بَعدَها للرَّجُلِ:" إركب!.".

فَرَكِبَ الرَّجُلُ جَمَلَهُ وانطَلَقَ بِهِ يُسابِقُ الرّيحَ، حتّى إنّهُ مضى في موازاةِ ناقَةِ النَّبيِّ ﷺ،فانهَمَرَتْ دُموعُ الرَّجُلِ تَشكُرُ اللّهَ سُبحانَهُ على أن خصَّهُ بِبَرَكَةٍ من بَرَكاتِ خاتَم أنبيائِهِ المُرسَلينَ.

كانَ ذلكَ الرَّجُلُ هُو جابرَ بنَ عبدِ اللّهِ الأنصاري(رض)!فمَنْ هُوَ هذا الصَّحابيُّ العَظيمُ الّذي احتلَّ تلكَ المكانَةَ المُقرَّبَةَ منَ النَّبيِّ ﷺ؟



أبوهُ هُوَ الصَّحابيُّ الجَليلُ عبدُ اللّهِ بنُ عمرو الأنصاريُّ، وأمُّـهُ نسيبَةُ بنتُ عقبة، وهوَ الّذي عَرَفَ مُحمَّـداً ﷺ منذُ طُفولَتِـهِ، إذ إنَّهُ نَشَأَ وتربّى في بيتٍ مُسلِم، ليسَ هذا فَحَسبُ بل إنَّ أباهُ عبدَ اللّهِ الأنصاريَّ (رض) كانَ واحِداً منَ السَّبعينَ الّذينَ شَهِدوا العَقَبَةَ، وبايَعـوا النَّبيَّ ﷺ في بِدايَةِ دعوَتِـهِ إلى الإسلام، وقدِ اختارَهُ قَومُهُ من بينِ الاثني عشَرَ نقيباً ليُمَثِّلَهُم ويكونَ مسؤولاً عنهُم تِجاهَ رَسولِ اللّهِ ﷺ. وقد رافقَ أباهُ في ذلكَ اليوم وكانَ أيضاً من بينِ أولئِكَ السَّبعينَ الّذينَ بايعـوا النَّبيَّ ﷺ، وكانَ أصغَرَ القَوم سِنّاً.

وقد وعى يَومَ بَدرٍ، حينَ رأى أبـاهُ مُتفـائِلاً بِنَصرِ المُسلِمينَ، فتَحقَّقَ الانتِصارُ وهُزِمَ المُشركونَ شَرَّ هزيمَةٍ، وهذا مادَفَعَهُ يومَ أُحُدٍ إلى أن يطلُبَ من أبيهِ أن يأذَنَ لَهُ بِالخُروج مَعَهُ للقِتالِ بينَ يَدي رسولِ اللّهِ ﷺ، فلم يأذَنْ لهُ، كي يُبقيهِ في البَيتِ رعـايَةً لأخواتِـهِ، وقـالَ لَهُ: "لا ينبغي لي ولكَ أن ندعهـنَّ لا رجل عندَهُنَّ، وأخافُ عَلَيهِنَّ، وَهنَّ نسيّاتٌ ضِعافٌ، وأنا خـارجٌ معَ رسولِ اللّهِ ﷺ، لعلَّ اللّهَ يرزُقني الشَّهادَةَ!".



وقدِ استُشْهِدَ فِعلاً في يوم أُحُدٍ بعدَ أن وقفَ في النّاسِ الّذينَ تَخاذلوا عن نُصرَةِ النّبيِّ ﷺ، وكلَّمَهُم لِيَحُثَّهُم على الجِهادِ. وقد أبَّنَهُ الرَّسولُ ﷺ بعدَ استِشهادِهِ، فيما ظَلَّلَتْهُ الملائِكَةُ بأجْنِحَتِها حتّى رُفِعَ.

وصارَ النّبيُّ ﷺ بعدَ استِشهادِ أبي جابرٍ خيرَ راعٍ لعيالِهِ، ومُعلِّماً لَهُم، إذ قالَ مرَّةً لِجابرٍ:"ألا أُبشِّرُكَ؟". قالَ:" بلى بأبي أنتَ وأُمّي.". فقالَ النّبيُّ ﷺ:" فإنَّ اللّهَ أحيا أباكَ، ثُمَّ كَلَّمَهُ كلاماً، قالَ لَهُ:" تمنَّ على ربِّكَ ماشِئتَ.". فقالَ:" أتمنّى أن أرجِعَ فأُقتَلُ معَ نبيِّكَ، ثُمَّ أُحيا فأُقتَلُ مَعَ نبيِّكَ!". فقالَ سُبحانَهُ" إنّي قَضَيتُ أنَّهُم لا يَرجِعونَ.".

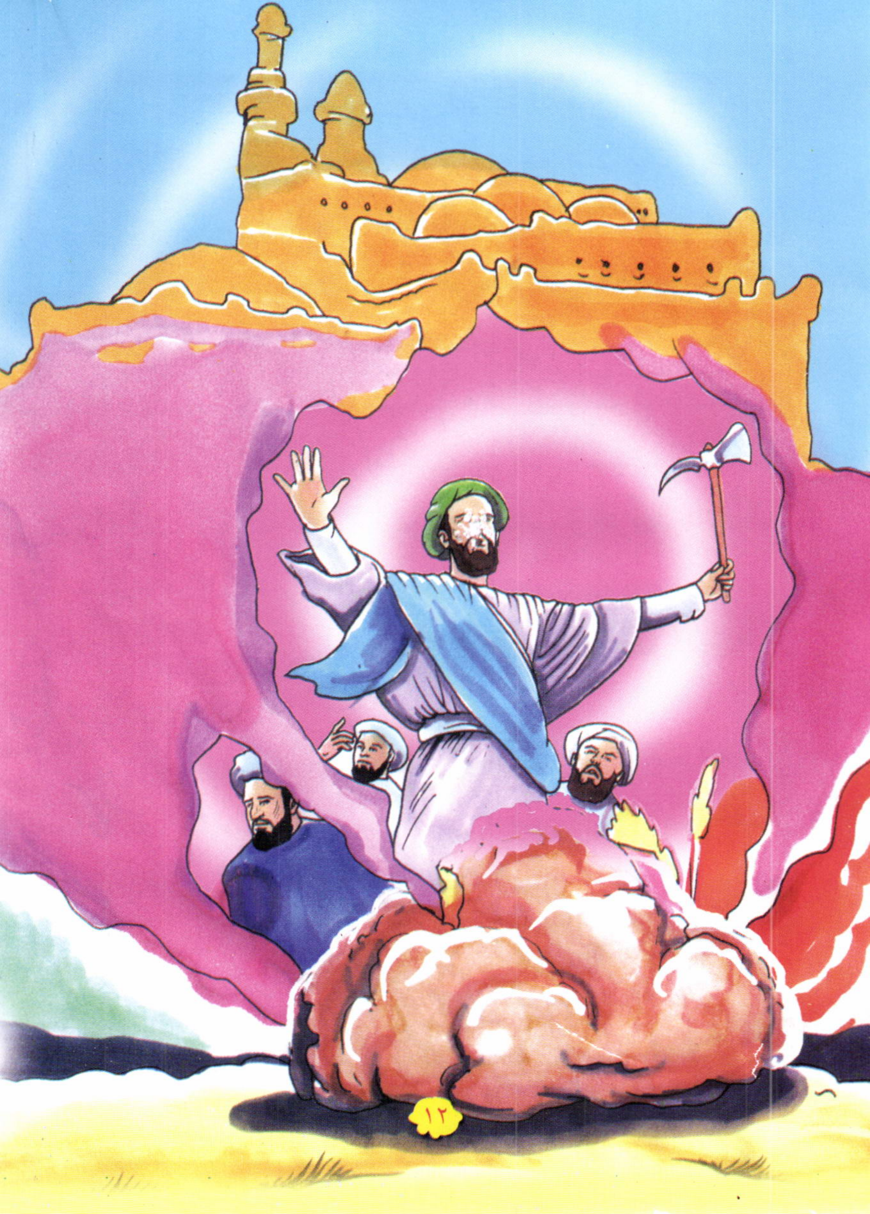
إنَّ هذهِ التَّربيَةَ الّتي تَيَسَّرَتْ لِجابرٍ (رض) جَعَلَتْ منهُ رجُلاً استِثنائِيّاً من بينِ الرِّجالِ الّذينَ التفّوا حولَ النَّبيِّ ﷺ في نَشرِ دينِ الإسلامِ، وقد تجلّى موقِفُهُ الأوَّلُ بعدَ استِشهادِ أبيهِ حينَ دعا النَّبيُّ ﷺ المُسلِمينَ الّذينَ صَمَدوا مَعَهُ في يَومِ أُحُدٍ لِيَخرُجوا لِطَلَبِ العَدُوِّ.

فَأسرَعَ الكَثيرونَ منَ المُسلِمينَ حتّى الجَرحى، فيما لم يأذَنِ النَّبيُّ ﷺ للمُنافِقينَ بالخُروجِ مَعَهُم بَعدَ أن خَذلوهُ سابقاً، كما لم يأذَنْ لمن تخلَّفوا عنِ الجِهادِ في يَومِ أُحُدٍ ولم يَخرُجوا



وها هُوَ جابِرٌ الّذي فَقَدَ أباهُ في مَعرَكَةِ الأمسِ يَتَوَجَّهُ فوراً إلى النَّبيِّ ﷺ طالِباً منهُ الإذنَ بالخُروجِ معَ المُسلِمينَ، قائلاً للنَّبيِّ ﷺ: "يارسولَ اللّهِ إنَّ مُنادياً نادى بأن لا يَخرُجَ إلاّ من حَضَرَ القِتالَ بالأمسِ، وقد كُنتُ حَريصاً على الحُضورِ، ولكنَّ أبي خَلَّفَني على أخواتٍ لي، وقالَ لي: "يابُنيَّ لا ينبغي لي ولكَ أن ندَعَهُنَّ ولا رجُلَ عِندَهُنَّ وهُنَّ نسيّاتٌ ضِعافٌ، وأنا خارجٌ مَعَ رسولِ اللّهِ ﷺ لعلَّ اللّهَ يرزُقُني الشَّهادَةَ، فَتَخَلَّفتُ عَلَيهِنَّ، فاستَأثَرَهُ اللّهُ عليَّ بالشَّهادَةِ، وكُنتُ رَجَوتُها، فأذَنْ لي يا رسولَ اللّهِ أن أسيرَ مَعَكَ!".

فَأذِنَ رَسولُ اللّهِ ﷺ لَهُ بالخُروجِ مَعَهُ. وقد رأى جابِرٌ بعينَيهِ النَّبيَّ ﷺ يدفَعُ بِلوائِهِ المعقودِ إلى
عليٍّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام في ذلكَ اليوم.كما شَهِدَ يومَ الخَندَقِ حينَ أشارَ سَلمانُ الفارسيُّ (رض) على النّبيِّ ﷺ بِحَفرِ خَندَقٍ يُحيطُ بالمَدينَةِ ويحميها منَ الكُفّارِ، ورأى النَّبيَّ ﷺ وعليّاً عليه السلام يتشارَكانِ في الحَفرِ والنَّبيُّ ﷺ يَقولُ: "لاعَيشَ إلاّ عَيشَ الآخِرَةِ، اللّهُمَّ اغفِرْ للأنْصارِ والمُهاجِرينَ".



وفي اليَوم التّالي خَرَجَ جابرٌ الأنصاريُّ مَعَ النّاسِ مُنذُ الصَّباحِ الباكِرِ ليُكمِلوا المَهَمَّةَ في حَفرِ الخَندَقِ، وإذ تَعترِضُهُم صَخرَةٌ تَعجَزُ معاوِلُهُم عن تَحطيمِها، فَيُرسِلُ النّاسُ جابِراً إلى النَّبيِّ ﷺ يُخْبِرُهُ بِذلكَ العائِقِ.

مضى جابرٌ إلى المَسجِدِ حيثُ يَكونُ النَّبيُّ ﷺ عادةً، فَوَجَدَهُ مُستَلقِياً على قفاهُ، ورداؤُهُ تَحتَ رأسِهِ، وعلى بَطنِهِ حَجَرٌ، شَدَّهُ ﷺ كي يُخَفِّفَ من إحساسِهِ بالجوعِ.

فقالَ لَهُ جابِرٌ: "يارسولَ اللّهِ،إنَّهُ عَرَضَ لَنا جَبَلٌ لم تَعمَلِ المَعاوِلُ فيهِ." هَبَّ النَّبيُّ ﷺ من مكانِهِ على الفَورِ، وانطَلَقَ إلى حَيثُ الصَّخرَةِ، وهُناكَ دعا النَّبيُّ ﷺ بِماءٍ في إناءٍ، فَغَسَلَ وَجهَهُ وذِراعَيهِ، ومَسَحَ على رأسِهِ ورِجلَيهِ، ثُمَّ شَرِبَ ومَجَّ من ذلكَ الماءِ، وصَبَّهُ على الصَّخرَةِ، وحَمَلَ مِعوَلاً، وضَرَبَ ضَربَةً فانطَلَقَ بَرقٌ ساطِعٌ منها ظَهَرَتْ فيهِ قُصورُ الشّامِ، ثُمَّ ضَرَبَ ضَربَةً أُخرى فانتَشَرَ بَرقٌ ظَهَرَتْ فيهِ قُصورُ المَدايِنِ، وفي الضَّربَةِ الثّالِثَةِ ظَهَرَتْ قَصورُ اليَمَنِ.

فقالَ النَّبيُّ ﷺ لأَصحابِهِ: "أما أنَّهُ سَيفتَحُ اللّهُ عَلَيكُم هذهِ المَواطِنِ الَّتي بَرِقَتْ فيها البَرقُ".



ولم تَلبَثِ الصَّخرَةُ أن تَفتَّتَتْ كالرَّمـلِ وانهـالَتْ على الأرضِ!

لَم تُنسِ هذهِ المُعجِزَةُ الّتي أذْهَلَتِ المُسلِمينَ جابِـراً أنّهُ رأى النَّبيَّ ﷺ يَعصِبُ حَجَراً على بَطنِهِ، وهذا مَعنـاهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ في أقصى حالاتِ الجوعِ. فتَقَدَّمَ منهُ وقالَ:" يارَسـولَ اللّهِ، هل لكَ في الغَداءِ؟".

فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ :" ماعِندَكَ ياجابِرُ؟".فَأَخْبَرَهُ جابِـرٌ بِما عِندَهُ من طَعامٍ، فَأَمَرَهُ النَّبيُّ ﷺ بِأنْ يُحضِّرَهُ.

كانَ جابِرٌ يَعلَمُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ ماكانَ ليَأكُلَ أيَّ طَعـامٍ دونَ النّاسِ الّذينَ شَمَّروا عن سَواعِدِهِم وقاموا بالمُساهَمَةِ في حَفرِ الخَندَقِ، لذا أَمَرَ زَوجَتَهُ بِأن تُحضِّرَ الطَّعامَ ، فتَخبِزُ وتَطبُخُ وتَشوي كُلَّ مـا عِندَها، ثُمَّ انطَلَـقَ إلى النَّبيِّ ﷺ يسـأَلُهُ أن يَحضُرَ ويُحضِرَ مَعَـهُ من أحبَّ، وكانَ يَظُنُّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ سَيُحضِرُ مَعَهُ زُمرَةً منَ النّاسِ بِما يَكفيها الطَّعامُ، ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ وَقَفَ على شَفيرِ الخَندَقِ، ثَمَّ هَتَفَ بالنّاسِ جميعاً يَدعوهُم إلى طَعامِ جابِــــرٍ، وكانَ عَدَدُهُم سَبعمائةِ رَجُلٍ، فَحضَروا جَميعاً كُلُّ واحِدٍ منهُم يُنـادي الآخَرَ!



ما كانَ أشَدَّ فَرحَ جابِرٍ وهُوَ يرى بِعَينَيهِ الناسَ يَتوافَــدونَ إلى مائِدَتِهِ، رغمَ عِلمِهِ بأنَّ الطَّعامَ لا يُمكِنُ أن يكفي إلاّ بِمُعجِــزَةٍ، ولكِــنَّ النَّبيَّ حاضِــرٌ لتَحقيقِ المُعجِـزاتِ، فِأَســرَعَ جابِـرٌ إلى زَوجَتِهِ ووَجهُهُ يَتَهَلَّلُ بالفَرحَةِ وقالَ لَها:" واللّهِ قد أتاكِ مُحَمَّدٌ رسولُ اللّهِ ﷺ بما لاقِبَلَ لَكِ بِهِ!".

فَسَأَلَتهُ زَوجَتُهُ القَلِقَةُ من أن لا يكفي الطَّعامُ:" أَعلَمتَهُ أنتَ بِمـا عِندَكَ؟.".

قالَ جابِــرٌ :" نَعم.". فقــالَتْ باطمِئنانٍ :" هُوَ أعلَمُ بِما أتى.".

بَعدَ ذلكَ حَضَرَ النَّبيُّ ﷺ يُشرِفُ على إطعــامِ القَومِ بِنَفسِهِ، ويَطلُبُ من الرِّجالِ أن يَدخُلوا إلى حَيثُ الوليمَةِ عَشرةً عَشرةً، وزَوجَةُ جابِرٍ تَسكُبُ لَهُم، وتُبقي في القِـدرِ كم أَمَرَها رســولُ اللّهِ ﷺ، فَأكَلَ الرِّجالُ جَميعُهُم حتّى شَبِعوا. ليسَ هذا فَحَسبُ بل بقِيَ في دارِ جابِرٍ منَ الطَّعامِ ما عاشَ بِهِ مَعَ أُسرَتِهِ أيّامــاً!



هكذا بَدَأَتْ حياةُ جابرٍ في قُربِ النَّبيِّ ﷺ، ولقد ظلَّ يَرى بعينيهِ ويَسمَعُ بِأُذُنَيهِ ما عَمَّقَ إيمانَهُ يوماً بعدِ يوم، وكانَ النَّبيُّ ﷺ يعلَمُ بِما في قَلبِ جابرٍ من إيمانٍ صافٍ لا تَشوبُـهُ شائِبَةٌ، وقد خَصَّهُ بِكَثيرٍ من الكَراماتِ والمُعجزاتِ، إذ سَأَلَهُ مَرَّةً عمّا فَعَـلَهُ بالدَّيْنِ الّذي خَلَّفَهُ أبوهُ عبدُ اللهِ، فقالَ لَهُ:"

أنتَظِـرُ يا رسولَ اللّهِ حتّى يُجَـذَّ نَخْـلُهُ". (يُقطَعُ وتُجمَعُ ثِمارُهُ).

قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ:" إذا جَذَذْتَ فأحضِرني!".

قالَ جابرٌ :" نعم". ثُمَّ سَأَلَهُ النَّبيُّ ﷺ:" مَنْ صاحِبُ دَينِ أبيكَ؟".

فقالَ:" أبو الشَّحم اليَهوديُّ، لهُ على أبي أوْسِقَةُ تَمرٍ".

(الأوسِقَةُ جَمعُ وَسَقٍ وهُو حِملُ التَّمرِ الّذي يُعادِلُ ستّينَ صاعاً".

ثُمَّ سَأَلَهُ النَّبيُّ ﷺ :" فمتى تَجُذُّها؟". قالَ جابِرٌ:" غداً".

فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ :" يا جابِرُ، فَإذا جَذَذْتَها فاعزِلِ العَجـوَةَ على حِدَتِها، وألـوانَ التَّمرِ على حِدَتِهـا". ففَعَـلَ جـابرٌ ما أَمَرَهُ بِهِ النَّبيُّ ﷺ، وصنَّفَ أنواعَ التَّمرِ الّتي جَناها بِحيثُ يكونُ كُلُّ نَوع على حِـدَةٍ، ثُمَّ ذَهَبَ إلى النَّبيِّ ﷺ يُخبِرُهُ بما فَعَلَ، فَحَضَرَ النَّبيُّ ﷺ ومَعَهُ عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام، وجماعَةٌ من أصحـابهِ، ثُمَّ أقبَلَ أبو الشَّحم اليهوديُّ، ولمّا نظَرَ النَّبيُّ ﷺ إلى التَّمرِ ورآهُ مُصَنَّفاً، قالَ:" اللّهُمَّ باركْ لَهُ".



ثُمَّ مَسَّ النَّبيُّ ﷺ بيَدِهِ الشَّريفَةَ اصنافَ التَّمرِ جَميعِها، بَعدِ ذلكَ جَلَسَ في وَسَطِها ، وقالَ:" أُدعُ غَريمَكَ." فَجاءَ أبو الشَّحم، فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ:" إكتَلْ.". فاكتالَ حَقَّهُ كُلَّهُ من كومَةٍ واحِدَةٍ منَ التَّمرِ هيَ كومَةُ العَجوَةِ فيما ظلَّ التَّمرُ الباقي كُلُّهُ كما هُوَ!

بَعدَ ذلكَ سَألَ النَّبيُّ ﷺ جابِراً:" ياجابِرُ، هل بَقِيَ على أبيكَ شَيءٌ؟". فقالَ جابِرٌ:" لا.". وانطَلَقَ جابِرٌ يبيعُ من ثِمارِ نَخلِهِ ويأكُلُ حتّى نَضَجَ المَوسِمُ اللاّحقُ، بَعدَ أن دعا لَهُ النَّبيُّ ﷺ.

لم يكُنْ جابِرٌ غافِلاً عنِ الميزَةِ الّتي اختصَّهُ بِها اللّهُ سُبحانَهُ، والفَضلِ الّذي منَّ عَليهِ بِهِ في أنَّهُ عاصَرَ النَّبيَّ ﷺ، لذا حاوَلَ أنْ لا يَمرَّ بزَمانٍ كَهذا مُرورَ الكِرام.

فالإسلامُ دينٌ جَديدٌ، تَعرِفُهُ البَشَريَّةُ لأوَّلِ مَرَّةٍ في التّاريخ، وهُوَ بأَمسِّ الحاجَةِ إلى المُؤمنينَ المُخلِصينَ أمثالِهِ، كي يَستَضيءَ البَشَرُ في أصقاعِ الأرضِ كُلِّها بنورِ الحَقِّ، والهُدى.

فلازَمَ النَّبيَّ ﷺ بِكُلِّ جَوارِحِهِ، وكـانَ يُدرِكُ بِسبَبِ هذا القُربِ من النَّبيِّ ﷺ ما لِعليٍّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام من مكانَةٍ عندَ النَّبيِّ ﷺ، وَ كَرامَةٍ عندَ اللّهِ سُبحانَهُ، فَتَقَرَّبَ إليهِ بِقَلبِ عاشِقٍ لأنوارِ آلِ بيتِ النَّبيِّ ﷺ، كما لازَمَ كُلَّ من ينتَمي إلى ذلكَ الضِّياءِ السَّرمديِّ، فكـانَ من أفضَلِ تلاميذِ النَّبيِّ ﷺ، وأكثَرِهِم مُواظَبَةً على وُرودِ يَنبوعِ عِلمِهِ الإلهيِّ المُقَدَّسِ.



وقد تَكَلَّمَ جابِرٌ عن هذا الموقِعِ الّذي أكرَمَهُ بِهِ النَّبيّ ﷺ، فلم يَضِنَّ عَلَيهِ بِما عَلَّمَهُ اللّهُ،وقالَ:" أردَفَني رَسولُ اللّهِ ﷺ خَلْفَهُ، فَجَعَلْتُ فَمي على خاتَمِ النُّبُوَّةِ، فَجَعَلَ يَنْفُخُ عليَّ مِسكاً، وقد حَفِظْتُ منهُ تِلكَ اللّيلَةَ سَبعينَ حديثاً ماسَمِعَها معي أَحَدٌ منهُ !".

بِذلكَ تَحوَّلَ جابِرٌ إلى مُعَلِّمٍ، يقومُ بِدَورِهِ في تَعليمِ النّاسِ خَيرَ قِيامٍ، ويروي لَهُم أحاديثَ النَّبيِّ ﷺ، ويَجتَمِعُ بِهِم في حَلقَةٍ في المَسجِدِ النَّبويِّ الشَّريفِ، فَيأخُذونَ العِلمَ عنهُ، وهوَ يَعِظُهُم ويُؤَدِّبُهُم، ومن أقوالِهِ:" تَعَلَّموا العِلمَ، ثُمَّ تَعَلَّموا الحِلمَ، ثُمَّ تَعَلَّموا العِلمَ، ثُمَّ تَعَلَّموا العَمَلَ ثُمَّ أبشِروا.".

وقد روى عنهُ الرُّواةُ ألفاً وخَمسَمائَةٍ وأربَعينَ حَديثاً، إضافَةً إلى أنَّهُ تَرَكَ لَهُم صَحيفَةً عِلمِيَّةً عَظيمَةً يَتَعَلَّمونَ منها.

هكذا قضى جابِرٌ حَياتَهُ، يَطلُبُ العِلمَ منَ المَهدِ إلى اللَّحدِ، ولا يَترَفَّعُ عن أن يكونَ تِلميذاً حتّى لمن هُم أصْغَرُ منهُ سِنّاً، طالَما أنَّهُم من آلِ بيتِ الرَّسولِ ﷺ، الّذينَ زقّوا العِلمَ النَّبويَّ زَقّاً.



لم يكتفِ جابرٌ بذلك، لأنَّ تِلميذَ النَّبيِّ ﷺ الحقيقيِّ لا يَجهَـلُ بابَ مدينَةِ العِلم، ولايَدخُلُها إلاّ من بابِها، فكانَ لا بُدَّ لَهُ من أن يَلجَأَ بَعدَ وفاةِ النَّبيِّ ﷺ إلى أميرِ المُؤمنينَ عـليٍّ عليه السلام ، فيتَيسَّرُ لَهُ بذلكَ اكتِمـالُ مَسيرَةِ العِلـم الّتي نَذَرَ لَهـا حَياتَـهُ كي يَحفَظَ الرِّســالَةَ من جَرائِـمِ المُنـافِقينَ في تَشويهِ الأحاديثِ الشَّريفَةِ، واختِلاقِ الأكاذيبِ. أَلَم يَسمَعِ النَّبيَّ ﷺ بِأُذنِهِ يقولُ لأصحابِهِ:" مَنْ أحبَّ أن يُجاوِرَ الخَليلَ في دارِهِ، ويأمَنَ حـرَّ نارِهِ، فلْيَتَـوَلَّ عَلِيّاً بنَ أبي طالب!".

لقد أحبَّ جابرٌ أن يكـونَ من بينِ الفائِزينَ يَومَ القِيامَـةِ، لِـذا جَعَلَ نَشرَ أحاديثِ النَّبيِّ ﷺ الصَّحيحَـةَ هَدَفـاً لَهُ في الحَيـاةِ، بَعدَ أن رأى النّاسَ يَضِلّونَ عن سَبيلِ الحقِّ، وهـا هُوَ يُخبِرُهُـم بِما زالَ يَحفَظُهُ ولا يُمكِنُ لَهُ أن يَنسـاهُ من فضـائِلِ عليٍّ عليه السلام، فيقولُ لَهُم:" رأيتُ رسولَ اللّهِ ﷺ أخَذَ بيَدِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ وهُوَ يقولُ:" هذا أميرُ البَرَرَةِ، وقاتِلُ الكَفَرَةِ، مَنصورٌ من نَصَـرَهُ، مَخذولٌ مَنْ خَذَلَهُ". ثُمَّ رَفَعَ بِها صَوتَهُ:" أنا مدينَةُ العِلْمِ وعليٌّ بابُها، فَمَن أرادَ الحِكمَةَ فَليأتِ البابَ".



كما قالَ ممّا سَمِعَهُ من النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في فَضلِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ:

قالَ رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم : " جاءَني جُبرائيلُ من عِندِ اللّهِ بِوَرَقَةِ آسٍ خَضراءَ، مكتوبٌ فيها بِبَياضٍ(إنّي افتَرَضْتُ مَحبَّــةَ عليٍّ على خَلقي، فَبَلِّغْهُم ذلكَ عنّي.)".

عَرَفَ جابِرٌ طَريقَهُ بَعدَ وفـاةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يَضِلَّ عنـهُ كمـا حَدَثَ للكثيـرِ من المُسلِـمينَ الّذينَ ناصَبوا عليّاً عليه السلام العَـداءَ، وحارَبوهُ بِكُلِّ الوسائِلِ حَسَداً وحِقداً، فَحـاوَلَ أن يَهديَ مَن لاعِلـمَ لَهُ، وأن ينصَحَ مَن أرداهُ الشَّيطـانُ، وأن يُعلِّـمَ النّاسَ كِبارَهُم وصِغارَهُم.

وبَعدَ شَهادَةِ أميرِ المُؤمنينَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام ظلَّ جابِرٌ مُثابِراً على القِيامِ بِدَورِهِ في تَعليمِ النّاسِ، وفي العَودَةِ إلى آلِ بيتِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم كَما أوصى، فَلم ينأَ بِنَفسِهِ عـنْ أن يكـونَ من أصحابِ الإمـامِ الحُسنِ عليه السلام المُقرَّبينَ، وأوّلَ من زارَ الإمـامَ الحُسينَ عليه السلام في قَبـرِهِ الشَّريفِ بعدَ وَقعَـةِ كَربَلاءِ، ثُمَّ أكمَـلَ دَورَهُ في التَّقَرُّبِ من بيتِ النُّبُوَّةِ في عَصرِ الإمامِ زَينِ العابدينَ عليه السلام ،حتّى التَقى الإمامَ مُحمَّداً الباقِرَ عليه السلام.



وتِلكَ حادِثَةٌ لا تُنسى يَومَ دَخَلَ الإمامُ عليٌّ بنُ الحُسَينِ عليه السلام علَيهِ ومَعَهُ وَلَدُهُ الإمامُ مُحَمَّدٌ الباقِرُ عليه السلام وهو طِفلٌ صَغيرٌ، فقال الإمامُ لابنِهِ عليه السلام " قَبِّلْ رَأسَ عَمِّكَ.".

وكانَ جابِرٌ(رض) كفيفاً في آخِرِ أيّام حَياتِهِ، فَسَألَ:" مَنْ هذا؟".

فقالَ لَهُ الإمامُ زَينُ العابِدينَ عليه السلام:" هذا ابني مُحَمَّدٌ..

فانفَرَجَتْ أساريرُ جابِرٍ، وضَمَّ الإمامَ إلى صَدرِهِ، وقالَ:" يا مُحَمَّدُ، رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقرَأُ عَليكَ السَّلامَ!".

فقالَ الإمامُ عليه السلام لِجابِرٍ:" كيفَ ذلكَ يا أبا عَبدَ اللّهِ؟".

فقالَ(رض):" كُنتُ مَعَ رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، والحُسَينُ في حِجْرِهِ وهُوَ يُلاعِبُهُ، فقالَ:" ياجابِرُ، يولَدُ لابني الحُسَينُ ابنٌ يُقالُ لَهُ عليٌّ، إذا كانَ يومَ القِيامَةِ نادى مُنادٍ:" لِيَقُمْ سَيِّدُ العابِدينَ.". فَيقومُ عليٌّ بنَ الحُسَينِ، ويولَدُ لِعَليٍّ ابنٌ يُقالُ لَهُ: مُحَمَّدٌ. ياجابِرُ إذا رأيتَهُ فَأقرِئْهُ منّي السَّلامَ، واعلَمْ أنَّ بقاءَكَ بَعدَ رُؤيَتِهِ يَسيرٌ، وبالفِعلِ، لم يَعِشْ جابِرٌ طويلاً بَعدَ ذلكَ اليَومِ!



تُوفِّيَ جابرٌ الأنصاريُّ، وعُمرُهُ أربعٌ وتِسعونَ سَنةً، وهُوَ آخِرُ من ماتَ من أهلِ العَقَبَةِ، وواحِدٌ من خيرَةِ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، ويكفي لِوَصفِ مكانَتِهِ عندَ النَّبيِّ ﷺ هذا الحديثُ:قالَ جابِرُ بنُ عَبدِ اللّهِ الأنصاريُّ:" سألتُ رسولَ اللّهِ ﷺ عن سَلمانَ الفارسيِّ فقالَ:" سَلمانُ بَحرٌ لا يُقْدَرُ على نَزحِهِ، سَلمانُ مَخصوصٌ بالعِلمِ الأوَّلِ والآخِرِ، أبغضَ اللّهُ مَن أبغَضَ سَلمانَ وأحبَّ من أحَبَّهُ! فقالَ:" فَقُلتُ: فما تَقولُ في أبي ذرٍّ؟".

قالَ ﷺ:" وذاكَ منّا. أبغَضَ اللّهُ مَنْ أبغَضَهُ، وأحبَّ اللّهُ مَن أحَبَّهُ!". قُلتُ:" فما تقولُ في المِقدادِ؟".

قالَ:" وذاكَ منّا، أبغَضَ اللّهُ مَن أبغَضَهُ، وأحبَّ اللّهُ من أحبَّهُ". قُلتُ:" فما تقولُ في عَمّارٍ؟". قالَ:" وذاكَ منّا، أبغَضَ اللّهُ مَن أبغَضَهُ، وأحبَّ اللّهُ مَن أحبَّهُ".

قالَ جابِرٌ:" فَخَرَجْتُ لأبَشِّرَهُم، فلمّا ولَّيتُ، قالَ ﷺ:" إليَّ إليَّ يا جابِرُ ، وأنتَ منّا، أبغَضَ اللّهُ مَن أبغَضَكَ، وأحبَّ اللّهُ مَن أحبَّكَ!".

